

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[198] الميادين. "الأُسوة" تعني في الأصل الحالة التي يتلبسها الإنسان لدى اتّباعه لآخر، وتعبير آخر: هي التأسّي والإقتداء، وبناءً على هذا فإنّ لها معنى المصدر لا الصفة، ومعنى جملة: (لقد كان لكم في رسول الأّ أُسوة حسنة) هو أنّ لكم في النّبّي (صلى الأّ عليه وآله) تأسّيًا وإقتداءً جيّدًا، فإنّكم تستطيعون بالإقتداء به واتباعه أن تصلحوا المُوركم وتسيروا على الصراط المستقيم. والطريف أنّ القرآن الكريم يعتبر هذه الأُسوة الحسنة في الآية أعلاه مختّمة بمن لهم ثلاث خصائص: الثقة بالأّ، والإيمان بالمعاد، وأنّهم يذكرون الأّ كثيرًا. إنّ الإيمان بالمبدأ والمعاد هو سبب وباعث هذه الحركة في الحقيقة، وذكر الأّ يعمل على إستمراره، إذ لا شكّ أنّ من لم يمتليء قلبه بهكذا إيمان لا يقدر أن يضع قدمه موضع قدم النّبّي، وإذا لم يُدم ذكر الأّ ويعمّر قلبه به أثناء إستمراره في هذا الطريق، ويبعد الشياطين عنه، فسوف لا يكون قادرًا على إدامة التأسّي والإقتداء. وتجدر الإشارة إلى أنّ عليًا (عليه السلام) مع شهامته وشجاعته في كلّ ميادين الحرب، والتي تمثّل معركة الأحزاب نموذجًا منها، وسيشار إليها فيما بعد، يقول في نهج البلاغة فيما روي عنه: "كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الأّ (صلى الأّ عليه وآله) فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدو منه" (1). بعد ذكر هذه المقدّمة تطرّقت الآية التالية إلى بيان حال المؤمنين الحقيقيين، فقالت: (ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الأّ ورسوله وصدق الأّ ورسوله وما زادهم إلّا إيمانًا وتسليمًا). ولكن ما هذا الوعد الذي كان الأّ ورسوله قد وعدهم به؟ قال البعض: إنّّه إشارة إلى الكلام الذي كان رسول الأّ قد تكلم به من قبل بأنّ

1 - نهج البلاغة، الكلمات القصار، فصل الغرائب جملة 9.